سمع في امريكا واوروبا اهمية مكانة عباس: اصبعه الصغير حاجز أمام الطوفان الاسلامي الاصولي

اولمرت وأطراف اخرى عربية ودولية وفلسطينية بدأوا يميلون نحو حل الدولة الفلسطينية المؤقتة بالاتفاق ولكن الوقت لا يصب في مصلحتهم

■ لو صحا اريئيل شارون من غيبوبته وشاهد صور ولي عهده وهو يحتسي كوبا من القهوة مع أبو مازن لفرك عينيه وأطلق احدى ملاحظاته اللاذعة التي كان يحتفظ بها جاهزة للمتمردين في مملكته. شارون بذل قصارى جهده وسنوات عمره الأخيرة في السياسة لتنفيذ عملية بيع التصفية للسلطة الفلسطينية كشريك لخطة فك الارتباط، وها هو ايهود اولمرت يصل حتى البتراء حتى يتناول مأدبة مع الرئيس الفلسطيني على طاولة الملك الاردني. من الجدير التدقيق جيدا في هذه الصورة.

من المحتمل أن تكون هذه أول صورة في المعركة القادمة حول الحوار الاسرائيلي الفلسطيني. اذا سار كل شيء على ما يرام فسيلائمها اسم «عودة الشريك»، من الممكن ايضا أن تُسمى «هناك حدود» مؤقتة ولكنها حدود متفق عليها.

في ديوان رئيس الوزراء قاموا بتهدئة المراسلين الصحافيين قائلين أن اولمرت لا يخطط لاجراء محادثة سياسية مع أبو مازن، وأوضحوا بأنه ليس من اللائق رفض دعوة ملكية لتناول مأدبة الافطار.

وزير العدل حاييم رامون الذي يبلور من خلف الكواليس (بما في ذلك من خلف ظهر الوزراء) خطة الانطواء، يعد من ناحيته بأن كل أحاديث اولمرت حول المفاوضات مع الفلسطينيين حول الانطواء تهدف الى صد انتقادات غير اليهود ضد الخطوات أحادية الجانب. والدليل على ذلك ـ أين الطاقم الذي وعد اولمرت بتعيينه للتحضير للمباحثات مع مساعدي أبو مازن؟ الطاقم غير موجود، ولكن التحضيرات للمباحثات موجودة وقائمة، وهناك ايضا حتى جدول اعمال. كل ذلك ينتظر نتائج المباحثات بين فتح وحماس حول «وثيقة الأسرى».

في مجلس الأمن القومي وفي وزارة الخارجية يبلورون الفكرة لتتحول الى خطة شاملة على أساس عدد من الفرضيات:

1 ـ رئيس الحكومة مصمم على اخلاء، وخلال ولايته الحالية، كل المستوطنات الواقعة شرقي الجدار، والافتراق عن السكان الفلسطينيين.

2 ـ الفجوة في مواقف الجانبين والوضع في السلطة الفلسطينية لا يتيحان التوصل الى اتفاق دائم على المدى المنظور.

3 ـ الاخلاء أحادي الجانب للمستوطنين سيعزز من موقف الأطراف المتطرفة في المجتمع الفلسطيني ويُضعف دعم الجمهور في البلاد للخطوة ويصطدم بتحفظات الأسرة الدولية.

4 ـ اسرائيل ما زالت معنية بتعزيز المعسكر الفلسطيني البراغماتي، الذي ينادي بالخيار السياسي.

5 ـ خريطة الطريق هي الخطة السياسية الوحيدة المقبولة على اللاعبين الرئيسيين في المنطقة وفي الأسرة الدولية.

6 ـ ليس من الممكن الآن تنفيذ المرحلة الاولى في خريطة الطريق بصورة كاملة (تفكيك البنى التحتية للارهاب) وليس من الواقعي الوصول مباشرة الى المرحلة الثالثة (بما في ذلك حل مشكلة القدس واللاجئين).

7 ـ المرحلة الثانية من خريطة الطريق ـ «دولة فلسطينية مستقلة مع حدود دائمة داخل عملية مفاوضات اسرائيلية فلسطينية» ـ هي الصيغة الوحيدة التي يمكنها أن تحظى بموافقة الجمهور الاسرائيلي والعالم وتعزيز مكانة أبو مازن، وربما حتى اعادة فتح الى سدة الحكم. وفقا لخريطة الطريق، يفترض أن تعقد الرباعية الدولية مؤتمرا دوليا للاشراف على تنفيذ المرحلة الثانية وحتى دفع الاعتراف الدولي بالدولة الفلسطينية الى الأمام، بما في ذلك العضوية المحتملة في الامم المتحدة.

اذا لم يقم اسماعيل هنية بلي ذراع أبو مازن وقيادته نحو حكومة الوحدة، فلن يكون اليوم الذي يُدعى فيه أبو مازن لمباحثات تنسيق حول اقامة الدولة الفلسطينية المؤقتة، ببعيد. ليست مفاوضات حول خط الجدار، وانما حوارا من اجل التسليم المنظم لقطاع غزة و90 في المئة من اراضي الضفة للسيطرة الفلسطينية. الملك عبد الله الذي يستضيف مأدبة الافطار يُبدي نهما خاصا بصدد امكانية التوصل الى صفقة بين الضيفين.

طلب اردني من الاتحاد الاوروبي بتخفيض الضغط على اسرائيل لرفع سياسة فصل غور الأردن (القيود المفروضة على دخول الفلسطينيين) يشير بعض الشيء الى قلق الملك من اقتراب حماس المفرط من حدود المملكة الهاشمية والتحاقها بالفرع المحلي «الاخوان المسلمين». زيارة اعضاء البرلمان الاردنيين الاربعة لبيت العزاء الذي أقامته عائلة الزرقاوي في الاردن أخرجت القصر الهاشمي عن أطواره. الزرقاوي هو كبير المخربين الذي كان قد أرسل أتباعه لتنفيذ العمليات في قلب العاصمة الاردنية.

اولمرت تعلم منذ زيارته السابقة للاردن، مثلما تعلم من رحلاته للولايات المتحدة ومصر واوروبا، أن أبو مازن يعتبر في كل مكان كطفل يعتبر اصبعه الصغير الحاجز الأخير أمام الطوفان الاسلامي الاصولي. رئيس الوزراء تحقق ايضا من ان حسني مبارك وطوني بلير يعرفان كيف يميزان بين المحاولة الحقيقية للتوصل الى التسوية وبين المسرحيات المفبركة. هناك خطر حتى بأن يدرك جورج بوش أن التوبيخ بسبب اخفاقات الكفاح الفلسطيني ضد الارهاب، وكذلك التوبيخ الذي اعتاد شارون توجيهه لأبو مازن في اللقاءات التي عقدها معه، لا يعتبران «مفاوضات».

عمير بيرتس ايضا يفهم شيئا أو اثنين في نظرية التفاوض. الى متى سيوافق رئيس حزب العمل على لعب دور كيس اللكمات للجيران في سدروت. بيرتس قال في محادثة خاصة قبل حين إنه يعرف أنه لا يوجد حل عسكري لصواريخ القسام وأن مفتاح الحل السياسي ليس موجودا بيديه، ولكن ما العمل؟ ليس من الممكن التوجه الى الانتخابات كل شهرين.

لشدة المفاجأة، رئيس الشعبة السياسية ـ الأمنية في وزارة الدفاع، الجنرال (احتياط) عاموس جلعاد، هو نفسه الذي كان قد نظّر خلال السنوات الأخيرة لتصفية السلطة الفلسطينية، ووقف الى جانب المؤيدين لفكرة مد خشبة الخلاص لأبو مازن من خلال تنسيق خطة الانطواء وعقد اتفاق معه لاقامة دولة فلسطينية في حدود مؤقتة. في جهاز الدفاع سمعوا باستغراب شديد أن اولمرت يفكر بجدية بسحب المستوطنين من غرب الجدار وكذلك اخراج الجيش و«الشاباك» من المناطق. ليس عليهم أن يُحدثوا اولمرت عما سيحدث لسكان كفار سابا غداة تنفيذ خطة فك الارتباط (ب). فسكان سدروت يُحدثونه حول ذلك صبح مساء عبر شاشات التلفزة.

تسيبي لفني، وزيرة الخارجية، لن تواجه مشكلة في تسويق خطة الدولة الفلسطينية المؤقتة والمتفق عليها في عواصم العالم. لفني لا تخفي رأيها بأن الانسحاب من الضفة الغربية والقاء المفاتيح في الشارع سيكون خطأ فادحا. من الممكن فهم الأمر ايضا على أنه انتقاد للطريقة التي نفذ فيها شارون فك الارتباط عن قطاع غزة. في هذا الاسبوع، خلال لقاء مع مجموعة من الضيوف الامريكيين، تحدثت لفني بصورة مطولة عن أن الدولة الفلسطينية هي مصلحة حيوية لكل من يؤمن بأهمية دولة اسرائيل كبيت قومي للشعب اليهودي وكدولة ديمقراطية. وزيرة الخارجية قالت إن الوقت والصراع يصبان في غير مصلحة اسرائيل التي تفقد شرعيتها كدولة يهودية في العالم شيئا فشيئا.

من هنا كان طريق تسيبي لفني قصيرا لاتخاذ قرار بمقابلة أبو مازن ـ الزعيم الفلسطيني الذي يكرر التزامه بحل الدولتين ـ الشريك المرغوب للاتفاق. اليوم شريك للاتفاق حول الحدود المؤقتة، وغدا، ربما، حول الاتفاق الدائم. هي تدرك أن هذه التسوية وحدها هي القادرة على اضفاء مغزى عملي للرسالة الهامة التي أعطاها بوش لشارون قبل عامين بصدد الكتل الاستيطانية وحل مشكلة اللاجئين خارج اطار حق العودة. لذلك غضبت لفني في هذا الاسبوع على قادة الاتحاد الاوروبي الذين رفعوا الحظر عن تجميد اموال التبرعات للمناطق. «هم قرروا تمرير العجوز للجهة الاخرى من الشارع بالقوة»، اشتكت الوزيرة. هي لا توافق على الاعتقادات بأن الضغط الاقتصادي يعزز من مكانة حكومة حماس ويُبعد أبو مازن عن موقف الحسم.

أبو مازن وأتباعه يحرصون بصورة رسمية وعلنية على رفض الفكرة، ويؤكدون أن بند الدولة ضمن الحدود المؤقتة وارد في خريطة الطريق «كخيار» فقط. ومثلما يخشى الاسرائيليون من أن يحول الفلسطينيون كل اتفاق دائم الى وضع مؤقت، يعرف الفلسطينيون أنه لا يوجد لدى الاسرائيليين أمر ثابت أكثر من التسوية المؤقتة. ومع ذلك منذ أن تحدثت «هآرتس» عن الفكرة الجديدة بدأ أتباع فتح المهزومون في التداول في هذه المسألة باهتمام كبير. اذا وعدتهم الأسرة الدولية بربطها بالتسوية الدائمة فهناك ما يمكن التحدث عنه، كما قال أحدهم.

السؤال الكبير هو كم من الوقت يمكن لهذا الطفل المتعب إبقاء اصبعه في ثقب السد. الدستور الفلسطيني ينص على أنه اذا أصيب أبو مازن، لا سمح الله، بجلطة دماغية، فان رئيس المجلس التشريعي الذي هو من قادة حماس، سيحل محله في الديوان الرئاسي في المقاطعة. وتلك ستكون صورة لا يوجد لها مثيل لاستهلال المعركة الجديدة في المأساة.

عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/6/23

على الجهات السياسية أن تدرك أن ثمن مواصلة استخدامه سقوط المزيد من المدنيين

سلاح الجو بدأ يخطىء أهدافه في الآونة الأخيرة لزيادة عمليات الاغتيال الممركزة التي تحولت الى سلاح بالجملة

■ في يوم الثلاثاء، جلس «المنتخب» وحلل عشرات عمليات القتل المستهدف من الجو التي نُفذت خلال السنة الأخيرة. الضباط قاموا بتشريح معطيات اطلاق النار على كافة المستويات والجوانب: عدد المرات التي أصاب فيها الصاروخ الهدف، المسافة التي سقط فيها بعيدا عن الهدف، نسبة الاصابة، من الذي أصيب، نسبة حوادث الخلل التكنولوجية في الصواريخ، وما الى ذلك.

هذا لم يكن نقاشا نظريا اعتياديا حول العمليات وما يحدث في الميدان. شعور «المنتخب» كان أن شيئا ما لا يصيب الهدف المرجو. الهدف كان التحقق من وجود قاسم مشترك من وراء سلسلة الاخفاقات الأخيرة التي منيت فيها عمليات الاغتيال من الجو في غزة. الاستنتاج في نهاية النقاش كان: «ليس هناك أي معطيات احصائية شاذة». سلوك الصواريخ التي أُطلقت من الجو في الاسابيع الأخيرة لم يكن مختلفا عن تصرف سابقاتها قبل نصف سنة أو سنة.

وكأن الحظ العاثر يلاحقهم، ففي يوم الاربعاء من هذا الاسبوع، غداة اليوم الذي جرى فيه نقاش الضباط المذكور، تكرر الأمر مع عملية اغتيال ممركزة اخرى تمخضت عن قتل مدنيين فلسطينيين. السبب: عطل فني في التسلح. ليس المقصود هنا عطلا نادرا. هو يظهر عادة في الاحصائيات السنوية. هذا خلل يتسبب في انحراف الصاروخ عن هدفه وفقدان السيطرة عليه في الواقع. عندما يحدث مثل هذا الخلل إبان ملاحقة الصاروخ لسيارة مخربين في منطقة مفتوحة، وفي الحقول، لا يسمع أحد بذلك. ولكن ما أن يحدث في منطقة بلدية مكتظة حتى ينتهي بقتل المدنيين الأبرياء.

«الفريق المنتخب» الذي جلس في يوم الثلاثاء حول طاولة قائد سلاح الجو، هو المجموعة الأكثر تجربة في العالم في مجال الاغتيال الممركز من الجو. كل واحد من هؤلاء الأشخاص أشرف على عشرات كثيرة وربما مئات عمليات الاغتيال المستهدف. كلهم ضباط بدرجة عميد، وقد تم اختيارهم من قبل قائد سلاح الجو فردا فردا، وذلك حتى يكونوا قادة خلية السيطرة في سلاح الجو ـ الاشخاص المسؤولين عن العمليات.

كيف تجري عملية الاغتيال في قطاع غزة؟ خلية السيطرة تتلقى المعلومات الاستخبارية من طرف خارجي: «الشاباك» أو قيادة المنطقة الجنوبية عبر أذرع الاستخبارات العسكرية المختلفة. ومنذ اللحظة التي يتم فيها اكتشاف الهدف ويصل فيها الإذن بالابادة ـ العملية جوية تماما: الضابط المشرف على العملية يجلس قبالة شاشة ويشاهد الهدف، والمتابعة قد تتواصل لساعات طويلة الى أن تظهر الظروف الأكثر ملاءمة للابادة. قائد خلية السيطرة هو الذي يحدد متى وكيف يتم ضرب الهدف. وعندما يقرر الضابط المسؤول أن الوقت قد أصبح ملائما بعد تأكده من عدم وجود مدنيين في محيط الهدف ـ يحصل الطيار على ضوء اخضر لاستخدام الاسلحة الهجومية، واذا لم تتوفر اللحظة الملائمة ـ يملك قائد خلية السيطرة صلاحية الغاء العملية. في الاسابيع الأخيرة جلس هناك قائد سلاح الجو ايضا، اللواء اليعيزر شكيدي.

سلسلة من الأعطال

للوهلة الاولى لا يوجد أي قاسم مشترك للاخفاقات الأخيرة التي حدثت خلال الشهر الحالي والتي تمخضت عن 16 قتيلا فلسطينيا من الأبرياء ومن بينهم عدد من الاطفال.

الحادث الأخير في يوم الثلاثاء من هذا الاسبوع جرى في جباليا. الصاروخ «الممركز» حصد أرواح ثلاثة اطفال. في هذه الحالة تحديدا ساد في خلية السيطرة شعور بأن الوضع مثالي لتنفيذ العملية. الكاميرا التقطت صورة واضحة وبؤرية للسيارة المستهدفة وأظهرت أن المنطقة من حولها نظيفة وخالية تماما. الصاروخ أطلق وأصاب السيارة في مقدمتها. أحد المطلوبين قُتل من جراء ذلك، وخرج اثنان آخران منها راكضين. الاطفال الذين كانوا يلعبون على مسافة غير بعيدة، لم يظهروا في أية صورة من الصور الملتقطة. هناك ضرورة في هذه الحالة للتحقق من السبب. ما هي المشكلة الفنية التي لم تسمح بظهور صورة كاملة في تلك اللحظة الحرجة.

قبل ذلك بأسبوع، في يوم الثلاثاء مرة اخرى، قُتل ثمانية مدنيين في شارع صلاح الدين وسط غزة. صاروخ اسرائيلي أطلق على سيارة تحمل صاروخ غراد، المسافرون على متنها فروا فأُطلق صاروخ آخر. وقبل ثوان قليلة من اصابة الصاروخ الثاني للهدف لاحظوا في خلية التحكم المشرفة تجمهر الناس حول السيارة المصابة. انحراف الصاروخ عن مساره في تلك اللحظة في قلب منطقة مكتظة قد يتسبب في عدد كبير جدا من الاصابات، وعليه تقرر تركه ليواصل مساره ويصيب عشرات الاشخاص بين قتيل وجريح.

الحادث الذي استهل هذا الشهر الدموي جرى في العشرين من أيار (مايو). صاروخ أطلق نحو سيارة مخربين، أصاب سيارة مسافرين أبرياء كانت مسافرة في الجوار. النتيجة: جدة وأم وابنها البالغ من العمر خمسة أعوام قُتلوا جميعا. هذا اعتبر حادثا نادرا جدا. السيارة التي كانت تمر بجانب السيارة المستهدفة لم تظهر عبر الشاشة، ومثل هذه الاخفاقات ستتكرر بصورة أكبر فأكبر عندما تُنفذ العمليات في اماكن مكتظة وليست مفتوحة. وهذا ما يحدث في الواقع في الاسابيع الأخيرة.

في عام 2003 كانت نسبة الاصابة بين المدنيين والمخربين 1:1، وفي 2004 طرأ تغير نتيجة لتحسين التكنولوجيا القتالية وجودة الاستخبارات. ووصل سلاح الجو الى نسبة 1 (مواطن): 12 (مخرب).

حوادث الاسابيع الأخيرة تعيد هذه الاحصائية الى الوراء. اصابة المدنيين هي مشكلة اخلاقية، أولا بالنسبة لقائد سلاح الجو، اضافة الى ذلك تنتزع هذه الاصابات الشرعية من يد الجيش ـ خاصة في نظر شعبه ـ لاستخدام هذه الوسائل القتالية.

المستوى السياسي «يُحب» الاغتيال الممركز من الجو لأنه لا يلزمه باتخاذ قرارات صعبة في مواجهة الارهاب في غزة. عندما يرغب وزير الدفاع في التأكيد للفلسطينيين بأن اطلاق الصواريخ نحو اسرائيل يجب أن يتوقف ـ يقوم بكل بساطة بارسال سلاح الجو نحو 20 هدفا نوعيا وإحداث صدمة على الارض. البديل هو إرسال القوات البرية بكل ما يترتب عليه ذلك من أبعاد مختلفة.

التصفية الممركزة من الجو هي اليوم أداة الهجوم الأساسية وشبه الوحيدة في القتال في غزة. وهي في الواقع الأداة الوحيدة التي تُمكّن الجيش من إظهار انجازاته في القتال الهجومي ضد الارهاب في غزة. سلاح الجو يخضع لضغوط هائلة ـ من المستوى السياسي والعسكري ـ لتكثيف الاغتيالات. وهو من ناحيته يُدمن على المهمة الموكلة اليه. هذه الوسيلة تحولت من سلاح جراحي يُستخدم ضد أهداف نوعية (القنابل المتكتكة) الى سلاح بالجملة.

في عام 2005 نفذت في القطاع 16 عملية اغتيال ممركز على امتداد السنة. في النصف الثاني من عام 2006، تلك السنة التي لم يعد فيها الجيش موجودا في غزة تم تنفيذ 40 عملية اغتيال وهي خمسة أضعاف المعدل السنوي. وإليكم مزيدا من المعطيات للمقارنة: في عام 2005 تمت تصفية 28 مخربا في عمليات جوية، وفي النصف الاول لعام 2006 قتل سلاح الجو أكثر من 70 مخربا وحطم بكلتا يديه المفهوم الذي بُنيت عليه نظرية القتل المستهدف في الأصل. عندما يصبح العمل بالجملة تحت ضغط التنفيذ المتواصل وجلب انجازات ونجاحات اخرى، تبدأ الأخطاء في اصابة الأهداف ودفع الثمن المترتب على ذلك. سلاح الجو سقط في الواقع ضحية لنجاحاته الذاتية.

قائد سلاح الجو اليعيزر شكيدي، لم ينتظر وصول الأوامر المغطاة اعلاميا من قائد هيئة الاركان ووزير الدفاع اليه لتدارس الاخفاقات واستخلاص العبر. منذ يوم الاربعاء وصلت أوامرهم الى «المنتخب» لتقليل عمليات الاغتيال المستهدف وتهدئة الوضع. الأمر الصحيح حتى الآن أن هناك تصريحا بتنفيذ عمليات الاغتيال الممركزة فقط ضد الأهداف النوعية والشخصيات المركزية في الارهاب التي تسنح الفرص النادرة بضربها أو في حالات وجود خطر حقيقي على حياة قواتنا. المطلب هو توخي قدر أكبر من الحذر في العمليات، وإن كانت هناك شكوك ـ فالتنازل عن المسألة.

ايقاف السباق ليس صدفة، وهو ايضا ليس جزءا من روتين التحقيقات التي تجري في سلاح الجو. سلاح الجو وجد نفسه عالقا في وضع جديد. سلسلة الأخطاء نبعت من مواجهة مستوى صعوبة مغاير ظهر في الميدان. ايقاف السباق هام من اجل التوصل الى الحلول، سواء كانت على مستوى تقنية القتال أو من خلال تحسين الوسائل القتالية وتطويرها.

مستوى الصعوبة المذكور مكون من عدة طبقات: أولا، حجم عمليات الاغتيال الممركزة ارتفع بصورة جوهرية وتحول الى نوع من العمليات الروتينية. ثانيا، العدو نقل ساحة القتال الى داخل المناطق المأهولة والعمرانية. ثالثا، العدو لم يعد مجرد مطلوب وحيد معروف من حيث الحركة والتصرف. هذا المطلوب قد قُتل. ولكن حل محله عشرات كثيرون ليسوا معروفين تقريبا وملاحقتهم أصبحت مسألة معقدة. الخصم أدرك مبدأ الاغتيال الممركز من الجو، وبذلك لم يعد يتجول في الحقول، وعندما يطلق الصواريخ فانه يفعل ذلك من بين المنازل.

هذا الوضع يستوجب استعدادا استخباريا مختلفا أكثر نوعية حتى لا يُفوتوا رؤية الاطفال الذين يلعبون في الجوار أو السيارة المارة بقرب الهدف أو الاشخاص الذين يتجمهرون بعد التنفيذ. البيئة الحضرية المكتظة والعدو الذي يعرف كيف يتصرف في مواجهة التصفية المركزة، تستوجب كلها الارتفاع درجة في مستوى الاختبارات البشرية، أي من خلال العملاء على الارض، الى جانب الاستخبارات الالكترونية: المراقبة من الجو ومن الارض وعمليات التنصت. كل هذه المنظومة تحتاج الى الارتقاء حتى يصبح تنفيذ العملية أكثر نقاء نسبيا.

من المغري جدا محاولة ربط المشاكل التي طرأت في العمليات الأخيرة في غزة بالقضايا الاعتيادية التي تكشفت في زوايا مختلفة من سلاح الجو وظهرت من خلال تحقيق شرطة التحقيقات العسكرية. من المغري جدا أن نسأل: ربما توجد هناك مشكلة قيادية أساسية. العمليات القتالية هي في نهاية المطاف اسلوب ادارة، والتجاوزات هي في نهاية المطاف ايضا قضية ادارة.

ذلك «المنتخب» الذي يتخذ القرارات بشأن العمليات في سلاح الجو يقوم ايضا باتخاذ القرارات المتعلقة بمعايير السلوك اليومي في سلاح الجو. هل يؤدي فشل اداري في موقع واحد الى فشل في مكان آخر؟ يبدو ذلك منطقيا، ولكن ليست هناك أي امكانية للبرهنة على هذه الفرضية. ما نملكه اليوم هو اشارات تحذيرية ايضا في المواقع الروتينية الاعتيادية وكذلك في المواقع التنفيذية. سلاح الجو ليس سلاحا في أزمة، هو جهاز يواصل العمل بصورة جيدة ولكن «المنتخب» ملزم باتخاذ سلسلة من الخطوات القيادية لاطفاء هذه الاشارات التحذيرية.

بامكان وزير الدفاع أن يلقي خطابا حتى الغد والقول بأن على سلاح الجو أن يتحقق من نفسه، وبامكان قادة الجيش أن يتحدثوا عن الحاجة للتحقق من المجريات واعادة النظر في الاستعدادات وفي الخطط التقنية والقتالية والاسلحة الجديدة. الحل الأمثل ما زال متمثلا في العمليات الجوية والقتل المستهدف، وكل عمليات التطوير والتحديث يجب أن تجري خلال الحركة. الاستعداد من جديد مع مواصلة العمليات القتالية يستوجب الآن دفع رسوم تعليمية. على المستوى السياسي أن يدرك أن ثمن مواصلة استخدام سلاح الجو بصورة مكثفة هو سقوط المزيد من المدنيين. فاذا لم يكن جاهزا لذلك، عليه أن يُقرمل سلاح الجو. أما الدفعية فقد قاموا بايقافها قبل ذلك.

فتى فلسطيني يعرض امام الصحافيين بقايا الصواريخ الاسرائيلية التي تسببت باستشهاد ثلاثة اطفال فلسطينيين

اليكس فيشمان
المراسل العسكري للصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/6/23

عليه ان يبدأ باخلاء مستوطنات منعزلة اضافة الى ازالة المواقع غير القانونية

اذا كان اولمرت مستعدا للانسحاب ولتصحيح الخطوط فليفعل ذلك بالمفاوضات والفهم المتبادل والتنازلات لعباس بشكل شخصي

■ يحتمل أن تشجع اسرائيل نفسها في الختام على تنفيذ خطة الانطواء الغامضة لرئيس الوزراء ايهود اولمرت من طرف واحد. ولما كان جوهر الخطة هو انسحابا احادي الجانب، فمن المهم الايضاح للجمهور بان كل الفرص هي ان تكون خطوط الانطواء هي الخطوط القتالية لاسرائيل. والزعيم الذي يوهم نفسه ويوهم الجمهور في هذا المجال يبدي عدم مسؤولية.

هذا ما حصل في خطوط فك الارتباط عن قطاع غزة. فقد تحولت الى خطوط قتالية جديدة – بعد ان اثنى العالم بأسره على اريئيل شارون لهذا الانسحاب. فاخلاء المستوطنات تم بشكل احادي الجانب، دون مفاوضات، كان يمكن للفلسطينيين ولمحمود عباس أن يسجلوا فيها لانفسهم انجازا سياسيا. اما اسرائيل فقد انسحبت دون أن تحصل على اي مقابل.

من الطبيعي أن تكون حماس سجلت لنفسها انجازا عسكريا كمن استخدم القوة ودفع اسرائيل الى الانسحاب. هكذا يبدو الامر في ناظر الفلسطينيين. واحساس النصر اشتد بسبب الفشل المتواصل للجيش الاسرائيلي في مكافحته لصواريخ القسام. اما انتصار حماس في الانتخابات فمجد انتصارهم أكثر فأكثر.

أول من ادعى بان فك الارتباط جرى دون دراسة جذرية كان رئيس الاركان السابق موشيه بوغي يعلون الذي حذر من العوائق. وبسبب من ذلك اساسا جرى ابعاده عن منصب رئيس الاركان. اما غيورا ايلاند، رئيس مجلس الامن القومي سابقا فقد كرر ما قاله يعلون. وفي فك الارتباط مع أن الجيش الاسرائيلي قص الخطوط ووفر المال، ولكن اموال التوفير أُنفقت ـ مع تسويف اثار حفيظة مراقب الدولة ـ على تحصين المباني في القرى والمدن «غلاف غزة».

والان يتحدثون عن خطة انطواء ـ انسحاب احادي الجانب جديدة، وكأن امرا لم يحصل. ليس واضحا، من اليوم يعد دراسة مفصلة، حتى خطة احتياطية، عن الانطواء. بحثت في كل مكان عن الخبراء فلم أجدهم.

في انطواء احادي الجانب جديد ستكرر اسرائيل الخطأ الاكبر للتنازل عن تجريد المنطقة الفلسطينية التي تنسحب منها من السلاح. فالتجريد كان موضوعا رئيسا في كل مشروع للتسوية مع الفلسطينيين وجرى الحديث معهم كثيرا عن ذلك. اما انطواء احادي الجانب فسيعطي زخما جديدا لحماس، وليس لعباس. ستكون هذه خطوة استراتيجية فاشلة لان اسرائيل ستعرض بذلك الاردن والنظام الهاشمي للخطر.

الاردن يطالب بكل لسان ممكن الا تمارس اسرائيل شيئا احادي الجانب. وهو يفهم بان الحديث يدور عن استمرار القتال؛ ما من شأنه أن يعمق انعدام الاستقرار في الاردن. وفي اسرائيل ستعزز عملية كهذه من يطالبون بعدم الانسحاب من غور الاردن. ومع أن الرئيس بوش وصف الخطة بالشجاعة، ولكن من يخشى على مستقبل الاردن، يجمل به أن يمارس الضغط على اولمرت للامتناع عن خطوة احادية الجانب كهذه.

عندما تصبح خطوط الانسحاب الخطوط القتالية الجديدة ـ فانها ستكون مسألة وقت فقط حتى يعود الجيش الاسرائيلي الى الغزو بكامل قواته للضفة ومدنها. يكفي قسام واحد على مطار بن غوريون. وضرب صواريخ القسام لمدن الشاطئ هو تهديد استراتيجي قد يلزم بالمس دون تمييز بالفلسطينيين. تاريخ النزاع يدل على انه لدى الفلسطينيين سيكون هناك دوما متطرفون وافقوا على الانتحار في عملية ارهابية. هذه المرة يمكن لايران أن تساعدهم بارادتها ضعضعة الوضع الراهن الاقليمي.

لكل ذلك ينبغي أن يضاف ان اولمرت لا يريد حقا ادارة مفاوضات مع عباس. يبدو أنه مستعد «للحديث» معه، ولكن ليس التفاوض. وهو على ما يبدو يخشى أزمة سريعة في المفاوضات. اذا كان اولمرت مستعدا للانسحاب، «للانطواء» ولتصحيح الخطوط ـ فليفعل ذلك بالمفاوضات، انطلاقا من الفهم المتبادل والتنازلات لعباس بشكل شخصي. اذا كان يرغب في اخلاء مستوطنات ـ فليبدأ باخلاء مستوطنات منعزلة اضافة الى ازالة المواقع الاستيطانية غير القانونية.

زئيف شيف
خبير امني واستراتيجي
(هآرتس) 2006/6/23

بمشاركة الرباعية الدولية والدول العربية المعتدلة والفلسطينيين والاسرائيليين

يجب تحويل خطة الانطواء من أحادية الجانب تزيد من المشاكل الى خطة منسقة تشكل ارضية حقيقية للتسوية الدائمة

■ الانطواء أحادي الجانب يتحول الى صيغة غير ذات صلة. وعد رئيس الوزراء ايهود اولمرت بأن تبلور اسرائيل لنفسها من خلال هذه الخطة حدودا دائما، يبدو اليوم بلا أساس. الخطوة المزمعة التي تعد بعدم الاعتماد على الاستقرار في السلطة الفلسطينية، تتحول الى خطوة انفصال تدريجي منسق مع الفلسطينيين لعدة اسباب:

أولا، ردود الفعل الباردة من قبل الأسرة الدولية كما حصل عليها رئيس الوزراء خلال زياراته في الآونة الأخيرة. هذه الردود أوصلت له رسائل قاطعة ووضوحة. رد الرئيس الامريكي بوش وبيان رئاسة الاتحاد الاوروبي والبيان المشترك الصادر عن حسني مبارك والملك عبد الله حول عدم الاعتراف بالحدود التي توضع من دون اتفاق بين الجانبين ـ كل ذلك يلزم اسرائيل بالانتقال من الخطة أحادية الجانب الى خطة انطواء منسقة. وإلا فان هذه الخطوة لن تحظى بالدعم الدولي الضروري لنجاحها.

ثانيا، حالة الفوضى التي تدب في قطاع غزة واطلاق النار المتواصل على التجمعات الاسرائيلية الجنوبية يعززان الشعور بعدم امكانية اخلاء اغلبية اراضي الضفة الغربية ببساطة، والافتراض في نفس الوقت أن وضع اسرائيل الأمني سيتحسن. التجربة المريرة بعد فك الارتباط عن غزة تشير الى وجوب السعي للتنسيق مع الفلسطينيين من اجل التجنب الأقصى لنتيجة أمنية مشابهة. في هذا السياق يجدر أن نذكر أن فك الارتباط عن غزة ايضا لم يكن أحادي الجانب تماما، ذلك لأن الفلسطينيين امتنعوا عن اطلاق النار خلال عملية التنفيذ ـ الأمر الذي أتاح لحكومة شارون استكمالها بصورة ناجحة نسبيا.

وثالثا، من المحتمل أن تكون اسرائيل قد نعت بصورة مبكرة جدا زعامة محمود عباس. سلوكه الفعال والحازم في قضية الاستفتاء حول وثيقة الأسرى، والتطورات في هذه الايام، تشير كلها الى امكانية أن يكون شريكا ملائما للحوار والتنسيق.

الواقع، وكذلك المصلحة الاسرائيلية، يقودان الى تحويل الانطواء من عملية أحادية الجانب الى عملية منسقة. يجب فقط أن نسأل حول كيفية القيام بذلك آخذين بعين الاعتبار الفوضى التي تدب في السلطة الفلسطينية والغموض السلطوي السائد هناك. الجواب هو: يتوجب نفض الغبار عن خريطة الطريق. خريطة الطريق مقبولة على السلطة الفلسطينية وكذلك على حكومة اسرائيل كمسار وحيد للتقدم نحو حل الصراع، ولذلك يجب، بل ويمكن، أن تكون مرساة لتحويل الانطواء الى خطوة منسقة.

في اطار المرحلة الثانية من خريطة الطريق يفترض أن تقوم دولة فلسطينية مستقلة في حدود مؤقتة. وعليه يتوجب ربط الانطواء المنسق بخريطة الطريق والسماح للفلسطينيين باقامة دولة في حدود مؤقتة على 80 ـ 90 في المئة من اراضي الضفة الغربية وغزة. وبذلك ايضا يمكن أن تتبلور ديناميكية تدفع الجمهور الفلسطيني وقيادته الى الاهتمام بنجاح خطة الانطواء. وحتى يُقبل هذا الخيار على الجمهور الفلسطيني والجمهور الاسرائيلي هناك حاجة لتوفير الشروط التالية:

بيان اسرائيلي واضح حول مبادىء التسوية الدائمة التي توضح هدفا سياسيا واضحا يشكل موجها للمفاوضات المستقبلية ويسمح بتقليص درجة الشك في تنفيذ المراحل الانتقالية من خريطة الطريق. اعلان المبادىء هذا يجب أن يرتكز في الأساس على وثيقة المبادىء الستة التي أعلنت عنها الحملة الوطنية والمعروفة ايضا باسم وثيقة أيلون ـ نسيبة. مبادىء تلك الوثيقة قُبلت منذ زمن في اطار تصور بوش الذي صرح عن ابقاء الكتل الاستيطانية بيد اسرائيل في اطار مبادلة الاراضي، ورفض مبادىء عودة اللاجئين الى داخل اسرائيل.

التطبيق الفوري لقانون تعويض ـ اخلاء، الامر الذي يتيح اعادة المستوطنين طوعا منذ مطلع 2007 وتكريس الحدود المؤقتة مع الدولة الفلسطينية وفقا لمسار الجدار الأمني الذي تصادق عليه محكمة العدل العليا وضمان بقاء قوة اسرائيلية ودولية في غور الاردن، على الأقل حتى التوصل الى التسوية الدائمة ـ وربما من بعدها ايضا. سيكون على الفلسطينيين أن يفوا بمستوجبات ومطالب المرحلة الاولى من خريطة الطريق، والتي تشمل قبل كل شيء الاعتراف باسرائيل والتصدي الحقيقي للارهاب. الجدوى الملموسة التي تأتي على شاكلة الدولة الفلسطينية المستقلة الموجودة في متناول اليد ستوفر للجمهور الفلسطيني امكانية الضغط على حكومة حماس وقبول خريطة الطريق بكل ما ينطوي عليه ذلك.

أنا أوصي بالاقتراح على الرباعية الدولية وعلى الدول العربية المعتدلة وعلى الفلسطينيين والاسرائيليين بأن يسيروا نحو الانطواء المنسق. بذلك ستوضح اسرائيل بأنها عازمة على أخذ مصيرها بيديها، وفي نفس الوقت تبذل جهودا صادقة وحقيقية لاتاحة المجال للفلسطينيين للقيام بنفس الشيء تماما. هذه الخطوات ستحول الانطواء من خطوة أحادية الجانب تزيد من حدة العداء، كما حدث في قطاع غزة، الى خطوة ناجحة تشكل بنية تحتية حقيقية للتسوية الدائمة.

عامي أيلون
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/6/23